الفصل الثانى
الأعضـــاء البدائيـــة والإنتخـــاب الطبيعـى

من المبررات التى يسوقها علماء التطور للاستشهاد بها على تطور الإنسان: تعللهم بوجود ما يسمونه "الأعضاء القردية = الأعضاء الأثرية = الأعضاء البدائية، *Vestigial organs*"، ومن ذلك ما يعتبرونه بقايا أعضاء كانت مفيدة فيما مضى من الأطوار، وأصبحت فيما بعد مع تطور الإنسان أعضاء زائدة لا نفع لها ولا فائدة منها، مثل الغدّة الصقرية، وقد اعتمدوا كثيراً فى إثبات نظرياتهم على تلك النّظرية.

(والأعضاء البدائية أو الأثرية *Vestigial organs* هى عبارة عن أعضاء قزمة لا فائدة لها عادة توجد فى عدد من الحيوانات "وأحياناً النباتات" أقاربها *relatives*، تحتوى على هذه الأعضاء فى صورة كاملة وتؤدى وظيفة ما، وتمثل هذه الأعضاء دليلاً مقنعاً على حدوث التطور مستنبطاً من علم التّشريح المقارن، إذ لا يمكن تفسير وجودها إلا بأنها جزء من تصميم عام كان موجوداً فى الأسلاف ولم يختف تماماً بالرغم من أنها أصبحت عديمة الفائدة، ولقد قدّم العالِم الألمانى "فيدرشايم *Weiderscheim*" قائمة تحتوى على حوالى مائة عضو أثرى توجد فى الإنسان سنذكر بعضها هنا بإيجاز، وخير مثال هو: الزائدة الدودية *Vermiform appendix* التى لا تقوم بأى وظيفة فى الإنسان فضلاً عن أنها تمرضهُ إذا التَهَبَت، وكذا يمكن اعتبار ضروس العقل *Wisdom teeth* فى الإنسان أعضاء أثرية لا فائدة منها لأنها لا تستعمل فى تفتيت الطعام لصغر حجمها، أما فى الرّئيسيات الأخرى مثل القردة فإنّ ضروس العقل تكون قوية ومفيدة مثل بقية الأسنان. وهناك أنواع قليلة من الخنافس *Bettles* لها جناحان ضامران لا يقدران على

الطيران ولا فائدة لهما)[1]

(ويؤمن عالم التّطور الأمريكى المعاصر "سيمبسون *Simpson*" أنّ بعض الأعضاء الأثرية التى تفقد وظيفتها الأصليّة قد يحدث فيها تخصيص لأداء وظيفة أخرى. فمثلاً نجد أنّ جناح طائر ألبطريق *Penguin* ضامر إلى حد كبير بحيث لا يسمح للطيران ولكنه أصبح مجدافاً كفؤاً للسّباحة، وكذلك جناح النعامة *Ostirish*" فهو صغير للغاية ولكنه يستعمله كعضو للتوازن خصوصاً حينما يغير الطائر إتجاهه وهو يجرى بسرعة)[2]

وقد جاء فى دورية "المختار من ريدرز دايجست" عدد شهر ديسمبر *1966* ما يلي: (منذ عشرين قرن على الأقل، والأطباء يتسائلون عن عمل عضو صغير بلون رمادى موجود فى أسفل العنق وراء عظم القص ويسمى الغدة الصقرية، وقد اتفق العلماء الحديثون على أنهُ عضو زائد لا فائدة منه بعد أن فقد عمله الأساسي، غير أنَّ الأبحاث الحديثة التى قام بها علماء أمريكيون وإنجليز واستراليون وسويديون قد كشف سِرّ هذه الغدة، وظُنّ أنها ألغدّة الرئيسية التى تنظم عمليات الحضانة من الأمراض المُعدية... فهل هذه الغدّة هى وحدها هى التى تتولى حمايتنا؟ **كـــلا**، بل لقد ثبت بنتيجة التجارب الحديثة ألتى أجراها الباحثون بأنّ الزائدة واللوزتين والنباتات الغذائية يمكن أن تلعب دوراً مشابهاً فى الحضانة). [3]

وفى نفس الموضوع كتبت "الموسوعة البريطانية" تنفى فكرة عدم ضرورة ونفع بعض ألأعضاء قائلة: (إننا نعرف الآن عدداً من ألأعضاء

(*1*) دورية "عالم الفكر"، المجلد الثالث، العدد الرابع، صفحة (19). فى مقال للدكتور علم الدين كمال بعنوان (تطور الكائنات الحية).

(*2*) المصدر السابق، صفحة (20).

(*3*) خلق لا تطور، صفحة (116)، نقلا عن: المختار من ريدرز دايجست، طباعة مصر، عدد شهر ديسمبر عام 1966.

كانت تسمى بدائية، بينما هى تقوم بأعمال ذات شأن).

ونخلص من ذلك أنه لا يوجد لنا أى مبرر للإدعاء أو وصف عضو ما بأنَهُ بدائى لا فائدة منه وذلك لمجرد أنّ عقلنا الناقص والعاجز والمحتاج إلى معلومات قد قَصّرَ أو جهل عن فهم ذلك العضو ووظيفته، أو إدراك حقيقة حكمة الله الخالق فى خلقه، أو حتى لأنه فى نظرنا لا يعمل بالصورة التى يريد له عقلنا المحدود أن يعمل.

والملاحظ لدى الأطباء أنّ هناك حالات مَرَضية كثيرة تصيب الحَلق أكثر من حالات مرض الزائدة، ومع ذلك فلا أحد يصف الحلق بأنه بدائي، فى حين أنهم وصفوا ذلك الجزء من الأمعاء بأنه بدائى ولا لزوم له حين سموه "الزائدة *vermiform appendex*" أضف إلى ذلك أنه يجب على أصحاب نظرية التّحول والانتقال أن يثبتوا بأنّ ظهور أعضاء جديدة فى جسم ألإنسان هى أكثر نفعاً له، لأنّ ضمور الأعضاء لا يثبت التّطور بل على العكس يوحى بأنّ الإنسان قد انحطَ وتَراجع ولم يتطور إلى ما هو أصلح كما يزعمون. (1)

إنّ البحث فى الأعضاء البدائية يقودنا إلى أهم أبحاث "أصل ألأنواع" لدى من قال بالتطور وهو بحث "الاصطفاء الطبيعي" أو "الانتخاب الطبيعي" والذى ينبع من قاعدة "البقاء للأصلح" التى بُنى بموجبها بحث "الأعضاء البدائية"، وهذا هو موضوع الفصل الرابع من كتاب داروين "أصل الأنواع"(2) **حيث يقول داروين:**

---

(1) إنّ هذا البحث منقول بتصرف من كتاب "خلق لا تطور" للدكتور إحسان حقي، الصفحات (110 - 116).

(2) المرجع، الفصل الرابع، الصفحات (213 - 218).

(ولدينا من الأسباب ما يسوقنا إلى الإيمان بأنّ تغير حالات الحياة التى أدلينا بها فى الفصل الأول[1] تزيد من قابلية الاستعداد للتّحول فى الأنواع، بمثل ما تزيدها تأثير السنين التى ذكرتها فى الأسطر السابقة من تغاير الحالات المحيطة فى الكائنات، إذ تساعد الانتخاب الطبيعى على إبراز آثاره، وتهئ للأنواع جُمَّ الفُرَص للسيادة بما تحْدِثه من التّحولات المفيدة، ولو لم تظهر تلك التحولات لما كان للانتخاب الطبيعى أثر ما... [2] وقد نستطيع أن نقول على سبيل المجاز: أنّ الانتخاب الطبيعى قوة دائبة الفعل كل يوم، بل كل ساعة فى استجماع التّحولات العرضية فى العالَم العضوى كافة، نافية كل كان مُضِراً، مبقية على كل ما كان منها مفيداً صالحاً، تعمل فى همودها وسكونها عملها الدائم، ما سمحت الفرص فى كل زمان ومكان، لتهذيب كل كائن من الكائنات بما يلائم طبيعة حالات الحياة المحيطة به، ما اتصل منها بالموجودات العضوية وما اتصل بغير العضوية، غير أننا لا نلاحظ شيئاً من التّرقى المنبعث عن التحول البطىء، حتى يظهر لنا من الزمان ما استدبر من الدهور فى سبيل إبرازه، على أننا لا نعلم شيئاً سوى أنّ صور الحياة فى هذا العصر تغاير صور الزمان الماضي، ذلك ناشئ عن النقص والتخلخل الواقع فى مواد النظر المستجمعة من البحث فى أطوار تكون الطبقات الجيولوجية التى عفت آثارها ودرست رسومها منذ أزمان موغلة فى القدم). [3]

وكأمثلة على الصراع لبقاء الأصلح الموجب للاصطفاء الطبيعى يقول: (فإنّ ذكور القاطور[4] "التمساح الأمريكي" بعضها يقاتل بعضاً قتالاً عنيفاً،

(*1*) المرجع الفصل الأول " التحول بالايلاف " صفحة (123 - 166).
(*2*) المرجع، صفحة (216).
(*3*) المرجع، صفحة (218).
(*4*) القاطور (التمساح الأمريكي): *Alligator*، تمساح أمريكى من فصيلة Alligatoridae، ويعتبره البعض من فصيلة التمساحيات Crowdilidae، موطنه أمريكا وأنواعه كثيرة، وأشد

وتخور إذا اشتّد القتال خوراً شديداً أشبه بخوار الثيران القوية، ويدور بعضها حول بعض كما يفعل مستوحشوا الهنود الحمر فى رقصة الحرب عندهم. وشوهد أنّ ذكور الصمون(1) "السلمون" تقاتل يوماً بأكمله حتى يستقر لكل من الذكور نصيبه من الإناث، وكذلك ذكور ضرب من الجعلان يقال لـه الجعل الوعلي(2) قد تصيبها جراح خطرة نتيجة تلك المنافسة إذ يقضم بعضها بعضاً بأفكاكها السفلى، ولاحظ "مستر فابر" أنّ ذكور بعض أنواع الحشرات غشائية الأجنحة(3) تتقاتل قتالاً مراً، حيث تنتظرها عن كثب أنثى من إناثها تصبح غنيمة المنتصر منها). (4)

وتحت عنوان "أمثال لفعل الانتخاب الطبيعى أو بقاء الأصلح "يستطرد الكتاب فى سرد الأمثلة وتحليلاتها **حيث يقول**:

(... وليكن الذئب مثالنا الأول: فإنّ هذا الحيوان يعيش على ضروب مختلفة من الحيوان يتغلب عليها طوراً بدهائه ومكائده، وطوراً آخر بقوته الجسمانية وسُرعَة عَدوِه، ولنفرض أنّ أسرع الحيوانات عَدواً، كالغزال مثلاً، قد زاد عدده فى البقاع التى يقطنها الذئب زيادة كبيرة، وفاق ما يكون قد طرأ على ظروف الإقليم المحيطة به من المؤثرات التى تعين على زيادة عدده، وأنّ غيره من الفرائس قد تناقص. ولنفرض أيضاً أنّ هذه الزيادة قد طرأت على الغزال خلال فصل من الفصول تشتد وطأة الجوع على الذئاب فيه، ففى مثل هذه الظروف، تكون أشد الذئاب

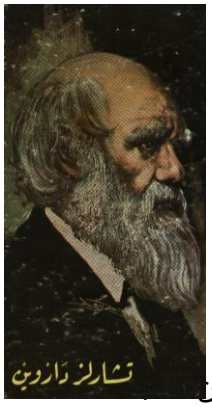

أنواعه افتراسا يقطن فى جنوب الولايات المتحدة، ويصل طوله إلى عشرين

(1) الصمون: كلمة مُعَرَبَة "Salmon " من فصيلة الصمونيات *Samonidae*.

(2) الجعل الوعلى " *Stay Beetle* ": نوع من الحشرات الغمدية الأجنحة، سمى الوعلى إشارة إلى ملامسه التى تشبه قرون الوعل.

(3) الغشائية الأجنحة *Hymenoptera*: أنواع متعددة من الحشرات، مثل: النمل ونحل العسل.

(4) المرجع، الصفحات (224 - 225).

عدواً، وأخفها أجساماً، وأمتنها بنية، هى أكبر المجموع حظاً من البقاء، وبهذا تحفظ نوعها وتنتخبها الطبيعة للبقاء فيها، إذ تكون قد إستعادت فى تلك الضائقة المعيشية قوتها التى تتغلب على فرائسها، سواء فى هذا الفصل أو فى غيره من الفصول، عندما نضطر إلى اقتناص فرائس أخر غير الغزلان)[1]

وفى بحث "الانقراض نتيجة للانتخاب الطبيعي" يتعرض داروين إلى (... وقد عرفنا مما فصلناه أن تأثير الانتخاب الطبيعى مقصور على الاحتفاظ بضروب التحولات التى تكون بحالٍ ما ذات فائدة للصور الحية، احتفاظاً يجعلها فيما بعد من الصفات الخاصة بتلك الصور الراسخة فى طبائعها، والكائنات العضوية إذ كانت بطبيعتها تزداد زيادة مستمرة بنسبة هندسية كبيرة، فإنّ كل بقعة من البقاع تصبح مشحونة بما يأهل بها، يستتبع ذلك أنّ الصور المهذبة المنتقاة تزداد فى العدد، حيث ينقص عدد الصور المنحطة المستضعفة.....)[2]

إلى أن يقول: (استبان لنا من قبل أنّ أكثر الأنواع أفراداً أكبرها حظاً فى إنتاج تحولات مفيدة فى زمن معين، ودليلنا على ذلك حقائق أوردناها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب، [3] أثبتنا فيها أنّ الأنواع العامة السائدة أوفر الأنواع إنتاجاً للضروب، وعلى ذلك تكون الأنواع النادرة أقل قبولاً للتهذيب واستحداثاً لضروب الارتقاء خلال زمن ما، فيضرب عليها الاستضعاف فى معمعة التناحر على الحياة مستهدفة لغارة شعواء تشنها عليها أعقاب الأنواع المحسنة.

---

(1) المرجع، صفحة (223 - 228).
(2) المرجع، صفحة (253).
(3) يقصد فصل " التحول بالطبيعة " الصفحات (167 - 189) من المرجع.

تسوقنا هذه الاعتبارات إلى ألتسليم بأنه كلما جد الانتخاب الطبيعى فى استحداث أنواع جديدة خلال تعاقب الأجيال، مضت أنواع غيرها ممعنة فى سبيل الندرة درجة بعد درجة، حتى يأتى عليها الانقراض والصور التى تكون أشد احتكاكاً فى المنافسة بتلك الأنواع المهذبة الراقية، أكثر الصور معاناة لتلك المؤثرات، ولقد رأينا فى الفصل الذى عقدناه فى التناحر على البقاء أنّ التنافس أشد ما يكون بين الصور المتقاربة الأنساب كضروب النوع الواحد، أو أنواع جنس بعينه، أو الأجناس ذات اللحمة الطبيعية، وذلك لتشابه أشكالها وتراكيبها وعاداتها واشتباك مصالحها)[1]

ويجدر ملاحظة أنّ الانتخاب الطبيعى فى مقولاتهم تختلف قوته من قطر لآخر، تبعاً لاختلاف ظروف البيئة بين ذلك القطرين، هذا ما يؤكده داروين **حيث يقــول:**

(والانتخاب الطبيعى لا يؤثر فى النظم العضوية إلا بحسب طبيعة المراكز التى تشغلها الأحياء فى البقاع التى تأهل بها، فالبقاع إما أن تكون غير مُستعمَرَة البَتّة، إما أن يكون فى نظامها العام مراكز خالية لم تحتلها عضويات ما، وبنسبة ذلك يكون تأثير الانتخاب الطبيعي)[2]

وفى نظر داروين وأتباعه فإنّ الصراع بين الكائنات على البقاء المؤدى إلى بقاء الأصلح بطريق الانتخاب الطبيعي، والذى بدأ أول ما بدأت الحياة، وإستَمَرَ إلى يومنا هذا، سيستمر مستقبلاً مزيلاً ولاغياً لأنواع وصنوف من الكائنات فشلت فى معركة الصراع على البقاء، وسيظهر ثبات أنواع ممتازة، نجحت فى كسب معركة الصراع، فأثبتت أنها الأصلح الجديرة بالبقاء، ولبيان أى الأنواع سينقرض ويتلاشى، ومن سيسود يقول داروين:

---

(1) المرجع، صفحة (254).
(2) المرجع، صفحة (264).

(فإذا نظرنا إلى المستقبل أمكننا أن نتنبأ بأنّ مجاميع الكائنات العضوية الحائزة لصفات السيادة فى الزمان الحاضر، بحيث لا تستبين فى مراكز نظامها الطبيعى أى تخلخل أو انشعاب، هى أقل الجموع تأثراً بعوامل الإنقراض، وأنها سوف تمضى ضاربة فى فى الازدياد والتكاثر العددى أزماناً طويلة، ولكننا لا نعرف أى الفصائل سيكون لها الحظ الموفور استناداً على ما رأينا من تاريخ العضويات، فإنّ بعض العشائر التى حازت فى الماضى أكبر الحظ فى الانتشار والذيوع قد إنقرضت. فإذا أوغلنا النظر إلى طيات المستقبل، أمكننا أن نتنبأ استناداً على ما نراه من تكاثر العشائر الكبرى، ومضيها متدرجة فى التكاثر العددى بأنّ كثيراً من العشائر الصغرى سوف تنقرض انقراضاً تاماً غير معقبة من السلالات الراقية شيئاً مذكوراً، ويكون القياس فى هذه الحال أنّ الأقلية العظمى من الأنواع التى تعيش فى عصر من العصور هى التى تفوز بأعقاب سلالات راقية تبقى ثابتة فى الطبيعة إلى مستقبل بعيد... غير أنى أضيف إلى ما سبق أنه استناداً على هذا الرأى تكون الأقلية العظمى من الأنواع القديمة، هى التى أعقبت أنسالاً لاتزال باقية إلى الزمان الحاضر)[1]

وينقض كل ذلك من الأساس، أنّ نظرة بقاء الأصلح لا تتفق مع الواقع بتاتاً، إذ أنها توجب انقراض الصّور المنحطة من المخلوقات، وذلك غير مطابق للواقع، إذ أنها لا زالت باقية متكاثرة لم تنقرض كما نشاهد، مكذبة القائلين ببقاء الأصلح، كما يقول علماء التطور بانقراض أنواع مثل الديناصور وهى الأقوى، فلِماذا انقرض الديناصور وبقيت الأميبا؟. **على هذا السؤال وأمثاله،** وبطريقة ثعلبية فاشلة يجيب داروين قائلاً:

(*1*) المرجع، صفحة (271 - 272).

(ولكن قد يُعتَرَضُ علينا بأنه إذا كانت كل الأنواع العضوية تنزع إلى تسلق السُلّم فى نظام الطبيعة، فكيف يقع فى جميع أنحاء الأرض أنّ عدداً وفيراً من أحط الصور لايزال باقياً حياً، وكيف يقع فى كل طائفة من طوائف الأحياء الكبرى أن تكون بعض الصور قد ضربت فى الارتقاء بدرجة كبيرة عن غيرها؟ ولماذا لم تتغلب الصور الأكثر ارتقاء على غيرها من الصور الأدنى وَأفنتها فى كل بقعة من البقاع؟. يلوحُ لى أنّ لامارك وكان يؤمن بوجود نزعة فطرية حتمية نحو الإرتقاء فى جميع الكائنات الحية، قد لمس هذه الصعوبة وأدركها بعمق، حتى لقد سبق له أن فرض أنّ الصور الجديدة البسيطة تتجدد دائماً عن طريق التولد الذاتي[1] على أنّ العلم لم يُقم الحجة بعد على صحة هذا الاتجاه، مهما يكن من أمر ما يمكن أن يتمخض عنه المستقبل إزاء ذلك، بمقتضى نظريتى لا يترتب صعوبة على استمرار وبقاء الصور المنحطة من العضويات، ذلك بالانتخاب الطبيعي، وبالحرى بقاء الأصلح، لا ينطوى ضرورة على تحول ارتقائي، بل أنه يقتصر على الانتفاع بالتحولات إذا جدت وكانت ذات فائدة لكل كائن حى فى ظل علاقاته الكثيرة المعقدة فى الحياة.)[2]

ويرجع بعد ذلك إلى التعليل والتأويل والاحتمالات مستعملاً الكلمات التشكيكية: قَد، يُحْتَمَل، حيث يستطرد:

(... وأخيراً فإنى أعتقد أنّ وجود كثير من الصور المنحطة التّركيب العضوى فى أنحاء العالَم يرجع إلى أسباب متفرقة، فالتّحولات والتباينات الفردية ذات الفائدة، قَد لا تكون قد حدثت حتى تتهيأ الفرصة للانتخاب ليعمل ويستجمع، ومن المُحْتَمَل أنه فى حالة من تلك الحالات كفى فيها

---

(1) التولد الذاتي: *Spontaneous Generation*: يعنى تولد الحى من الحي.
(2) المرجع، الصفحات (274 - 275).

الزّمن لإبراز أقصى ما يمكن من الارتقاء والتطور، وفى حالات أخرى نادرة، رُبَما يكون قد وقع ما نسميه "نكوص"[1] النظام العضوي)[2] إلى أن يقوم بالإستخلاص موضحاً:

(والانتخاب الطبيعي، على أساس إتصاله بتوارث الخصيات فى العصور المقابلة، يَسامتُ نفس الدور الذى ظهرت فيه الخصيات أولاً فى آباء الأنسال، يغير من صفات البيض أو البذور أو صغار النّسل، بقدر ما يغير من صفات الأفراد البالغة. أما ألإنتخاب ألجنسى فيمد ضروب ألإنتخاب ألأخرى بمهيئات الاحتفاظ بأقوى الذكور وأعظمها كفاية لملائمة الظروف، فتنتج أكبر عدد يستطاع إنتاجه من الأنسال القوية، ويغير من صفات الذكور من طريق تناحرها مع غيرها، فتنتقل صفاتها إلى ألزوجين، الذكر والأنثى من أعقابهما، أو إلى أحدهما لا غير وفقاً لما يكون من تأثير الوراثة فى إنتاجها.

فإذا أردنا أن نزن تلك الاعتبارات التى نعزو إلى الإنتخاب الطبيعى بميزان الخدمة، لنعرف مقدار انطباقها على الواقع وتأثيرها فى تهذيب الصور الحية حتى تصبح ذات كفاية تامة لما يحيط بها من ظروف الحياة المختلفة الملائمة لمراكزها التى تشغلها فى الطبيعة، فذلك ما يجب أن نرجع إليه فى الفصول التالية، ولو أنه قد ثبت لدينا أنها السبب المباشر فى حدوث الإنقراض. أما ما أحدثه الانقراض فى تاريخ العضويات، فعلم طبقات الأرض خير شاهد عليه)[3]

وباستعراض جميع ما تقدم من أقوال داروين نجد أنها هرطقات وسفسطات وفارغاً من القول، يقصد منه زج السامع فى دوامة تبريرات

---

(1) النكوص: *Retrogression*
(2) المرجع، الصفحات (276 - 277)
(3) المرجع، الصفحات (281 - 282).

هى أبعد ما تكون عن الواقع، واستدلالات فى غير مواضعها، ويفسّر عالِم التّطور "بيير *Beer Sir Gavin*" النظرية فى كتابه "شارل داروين":

(إنّ التطور تابع للاصطفاء الطبيعي، ويزعم القائلون بالاصطفاء أنّ الطبيعة تلجأ إلى الانتخاب، وتحتفظ بالإنتقال النافع، وتنفى الانتقالات الضارة، وبهذه الصورة يتحول الكائن الحى إلى نوع رفيع.)[1]

وأكثر الانتقالات تكون ضارة فكيف تستطيع الطبيعة أن تنتخب؟ ثم لو فرضنا جدلاً بأنّ كائناً من الكائنات حصل على انتقال نافع، فلا بدّ لهذا الانتقال أن تتلوه انتقالات كثيرة ضارة، وفى هذه الحالة إذا تدخلت الطبيعة فإنّ كل ماتستطيع فعله هونبذ هذا الكائن المنتقل ليس إلا، علاوة على أنّ بقاء الكائن الحى لا يدل بقاؤه على أنه كان نتيجةً للتطور، بل هو نتيجة ظروف خاصة وعمرٌ محتومٌ. ومثال على ذلك إذا كان لدجاجة بضعة فراخ فأكل أحد الطيور الجارحة بعضها، فهل يعدُ الباقى أكثر تطوراً من الضحايا وأجدر بالبقاء؟ طبعاً لا، إضافة إلى أنّ الانتخاب الطبيعى لا يحول الفراخ إلى خراف ولا يحول الأرنب إلى جاموس، ثم إذا قام رجلان بالتشاجر على أنثى، فقتل أحدهما الآخر، وكان القاتل الضعيف، والمقتول الأقوى الأصح، فهل الضعيف هو الأجدر على البقاء؟... إنها تفسيرات واهية لم يقتنع بها حتى بعض مشاهير دعاة نظرية التطور، فكثيرٌ من القائلين بالتحول يعترفون بأنّ الانقلاب والانتخاب الطبيعى مجتمعين لا يكفيان لتفسير آلية التطور، فقد كتب التطورى المتعصّب "جيمس جري" فى كتابه "العِلم اليَوم" يقول:

(إنّ كلّ علماء الأحياء غير مقتنعين بهذا التفسير، ويذهب بعضهم إلى

(*1*) د. إحسان حقي، " خلق لا تطور " صفحة (78)

أنّ هذه الدعوى تشبه إلى حد ما القول بأنه لو اتفق أن اجتمع عدد كافٍ من القرود، وضربت على الآلة الكاتبة مدّة من الزمن، فإنها لا بد وأن تنتهى بوضع موسوعة، وبديهى أنّ هذا القول ليس قابل للتصور قط، بل لا يوجد شخص يتمتع بقواه العقلية يحمله على محمل الواقع.)[1]

فعلينا إما أن نقبل الاصطفاء الطبيعى كدليل وحيد على آلية التطور، وأن نقبل بأنّ فيه قسطاً من الخيال، وإما أن نعترف بأنّ الاصطفاء الطبيعى يقوم على أساس الانتقال العرضى الذى يأتى إتفاقاً وأن نعطى للمصادفة دوراً أكثر أهمية فى هذا الميدان.... وإذا اعتبرنا التطور العضوى نوعاً من يانصيب الطبيعة فإنه يبدو من الغرابة بمكان أن تكون أوراق هذا اليانصيب الرابحة بهذا القدر من الكثرة. ومع هذا فإنى أقول: أن ليس هناك ما يثبت أن رأيى خير من غيره من الآراء.)[2]

وفى نفس الكتاب يقول العالِم التطورى وأستاذ علم الوراثة عند الحيوان فى جامعة ايدنبرج "وادنغتون" ما يلي:

(إنّ هذا القول يعدل الزعم بأنك إذا بدأت بكتابة أربعة عشر سطراً متلاحمة باللغة الإنجليزية ثم أنك غيّرت حرفاً مع الاحتفاظ بالقافية فإنك تنتهى بأن تجد لديك قصيدة من قصائد شكسبير... إنّ هذا النوع من المنطق هو انحراف عن جادة الصواب، وأعتقد أنه علينا أن نكون قادرين على صنع ما هو خير من هذا)[3]

أما العالم التطورى الشهير "سمبسون *George Gaylord Simpson*"

(*1*) د. إحسان حقي، " خلق لا تطور " صفحة (79). نقلا عن: *Progres et - Hugu Miller Declin*.

(*2*) د. إحسان حقي، " حلق لا تطور " صفحة (79 - 80) نقلا عن: *Progres et - Hugu Miller Declin*.

(*3*) المصدر السابق.

فيقول فى كتابه "جغرافية التطور": (لقد أُهمِلَ البحث عن سبب التطـور، إذ أصـبح مـن الثابـت الآن أنّ سـبب التطـور لـيس وحيـداً ولا بسـيطاً)[1] **لـــذا** فقـد أعلـن العلامـة "والاس": (إنّ الارتقـاء بالانتخـاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان ولا بدّ من القول بخلقه رأساً)، أما "فرخو" فيقول: (إنّـه قد تبين لنـا من الواقع أنّ بين الإنسـان والقرد فرقاً بعيداً فلا يمكننـا أن نحكـم بـأنّ الإنسـان مـن سـلالة قـرد أو غيـره)[2] أمـا "أجاسـير" فيقـول: (إنّ النشـوء لا يـتم إلا وفقـاً لخطّـة إلهيـة حكيمـة، وإنّ الاصـطفاء الطبيعى إذا ما حَلّ مَحَلَ الخلق الإلهى فإنّ الإنسان قد جرد من روحه وغدا آلـة صـماء، إنّ التفسـير الحرفـى لنظريـة داروين يفسـح المجـال لِتَأليـه سوبرمان نيتشه وتمجيد القوى البدنية على أنها ألأساس الوحيد للسلوك بين النّاس، إنّ الفكرة التـى يعتنقهـا الداروينيون عن تناسل نـوع جديد بواسطة نـوع سـابق ليسـت إلا افتراضـاً اعتباطيـاً يتعـارض والآراء الفسـيولوجية الرصينة)[3]

ولنعد إلـى دراسـةٍ واعيـةٍ لمقولـة الإنتخـاب الطبيعـى وأعضـاء الزائـدة، فالرجال ومنذ وُجِدَ الإنسان لا تنمو لِحالهم أقصَرَ لأنهم يحلقونها، والنساء أيضـاً لا تـزول الشُعور من علـى أبدانهن لأنهنّ يبـالغْنَ فـى إزالتهـا نتفـاً أو بالوسائل الصناعية المختلفة كانت ما كانت، والقطط التى ليس لها ذيول فـى جزيرة "مان" لم تتطور هناك هكذا لأنّ أحداً قد قطع ذيل قطّـة، كـلا بـل أنّ جينة ما "*Gene*" خاصة بالذيل قد فقدتها تلك القطط، ولكن علـى الـرغم من تلك الكارثة فإنّ القطط اللاحقة قد نشأت صحيحة دون تلك الجينة، إنّ القائلين بنظرية التطور بالإنتخاب الطبيعى لم يعلموا شيئاً، لا بل أنهم قد تجاهلوا

(*1*) المصدر السابق، نقلا عن: *Le Geographie de L Elevation*.
(*2*) أنور الجندي، " سقوط نظرية داروين " صفحة (14).
(*3*) المصدر السابق.

وحدات الوراثة "الجينات"، وقد وقفوا فى مكانهم حيث ما يعتبروه أساس التطور، ألا وهو الخلية ذات الكيان الذى يحتوى على الجينات ويحملها. يقول "ج. سوليفان *Sulivan .N.W.G*" فى كتابه "حدود العلم *Limitation of Science*":

(إنّ الاتهامات التى تنطوى عليها أقوال "وايت هيد *White head*" لها ما يبررها بالتأكيد، إننا نحس المرّة تلو المرّة بأنّ المفاهيم الأساسية التى يستخدمها عُلماء الأحياء ليست كافية لمعالجة أهم المشاكل التى تواجههم، إنّ نظرية الانتقاء أو الاصطفاء الطبيعي"*Natural selection*" على سبيل المثال، لتبدو مليئة بالفجوات عندما تدرس بالتفصيل، إنّ المرء ليتقبل بسهولة وبشكل عادى التفسيرات الفيزيائية المحضة على سبيل المثال، ولكن لا بد له من بذل مجهود عظيم حتى يستطيع الاعتقاد ولو مؤقتاً، بأنّ جميع التطورات التى حدثت للكائنات الحية على ظهر هذا الكوكب جاءت نتيجة لتغيرات عشوائية "*random variations*"، وللصراع من أجل البقاء، إنّ نظرية الاصطفاء الطبيعى لا تفسر ولو من جانب بعيد أكثر الحقائق وضوحاً فيما يتعلق بالعمليّة كلها، ونعنى بذلك اتجاه الكائنات الحيّة نحو الإرتقاء، فإنّ نوعاً من الحياة البدائيّة يبدو لنا كافياً ليفى بالغرض، ويبدو لنا فى هذه الحال أيضاً أنه لن يكون هناك ما يستدعى حتماً ظهور هذا النوع من الحياة البدائية، لأنّ مثل هذه الحياة لها منافسة الصخور والجمادات فى الاستمرار والبقاء)[1]

ويستطرد سوليفان قائلاً: (إنّ الانطباع الذى يراودنا بين وقت وآخر، هو أنّ علماء الحياة لا يستطيعون الإفتراض بأنّ التقدم الفعلى للأحياء يمكن

(*1*) مجلة: عالَم الفكر - المجلد الثانى عشر - العدد الثانى - يوليو 1981، صفحة (228)، نقلاً عن كتاب ج. سوليفان: "حدود العِلم". نشر: الدار العلمية - بيروت سنة 1972، الصفحات (6 - 9).

أن يفسر ضمن شروطهم التى يتمسكون بها، اللهم إلا من قبيل الإيمان بالخوارق)[1] إلى أن يقول: (إنّ نظرية الانتقاء أو الاصطفاء الطبيعى على فرض التّسليم المطلق بها، لا يمكن أن تُفَسّرَ ولا أن تبرز إلا على وجه وجود علّة أو قوة ما تسوق الحياة والأحياء فى سلم التطور صوب الأحسن والأرقى... وإلا غدت العملية من أساسها لغزاً مبهماً، الأمر الذى دفع بعض العلماء إلى البحث عن بعض المفاتيح مثل: القوة الحيوية "*Vital force*" أو "قوة التحقق" أو "الروح *emtelechy*" وما إلى ذلك... ولو قالوا الله لحُلّت الأحاجى والألغاز، ولوجدوا أنفسهم يتحركون فى الطريق الصحيح لفهم معادلة الحياة المعجزة!!!)[2]

أما "ج. ب. س. هولدن *J. B. S. Holane*" أحد ألمع علماء الحياة المحدثين فيقول فى إحدى مقالاته: (إننى لأتصّور وجود قوّة تلازم خط تطور الحياة ملازمة العقل للدماغ، لقد حاول "رويس *Royce*" فى عام "*1901*" إعطاء صورة محددة لهذه القوّة، وذلك كعقل ذى أبعاد زمانية هائلة، وذكر أنّ الإحساس القوى الذى يلازم عملية التجدد موجود فى ذلك العقل وجوده فى عقولنا، وإذا كانت هذه الأقوال تنطوى على عنصر من عناصر الحقيقة، فإننى أشك فى أن تكون تلك القوة ذات طبيعة مشابهة لطبيعة العقل، إنّ شكى فى إمكانية وجود نوع من الكائن المجهول!! يلازم عملية التطور يعود إلى الاعتراف بجمال مثل هذا الكائن وبغرابته التى لا تنقضي، تلك الغرابة التى تشكل الميزة التى ظللت أستشعرها خلال عشرين عاماً قضيتها فى العمل العلمى الدائب)[3]

(*1*) المصدر السابق.
(*2*) المصدر السابق.
(*3*) المصدر السابق.